قصة في حياتي

الهدف مما سأتحدث عنه هو العبرة والمقارنة بين ما كنا عليه قبل خمسين سنة تقريبا وما نحن عليه الآن من خير ونماء ونقلة حضارية كبيرة بفضل الله ثم بفضل ما تبذله حكومتنا من جهود جبارة لتسهيل سبل العيش الكريم لكل مواطني هذه الدولة الفتية.

أما القصة فيعود تاريخها إلى عام ١٣٨٨ من الهجرة عندما كنت مديرا لمدرسة قها الابتدائية والمتوسطة حيث كنت أسكن في قرية قها في بلاد ثقيف بعيدا عن بيتنا حرصا مني على أن أكون قريبا من المدرسة.

ففي ليلة شتوية باردة ماطرة بدأت في تحضير درس في مادة الجغرافيا للصف الأول المتوسط وكان الموضوع (إندونيسيا).

وعند الاطلاع على كتاب الطالب وجدت أن من ضمن المحاصيل الزراعية (التوابل) وهي كلمة غريبة عندي لم أسمع بها من قبل؛ عند ذلك توقفت عن الكتابة وبدأت أفكر في معنى هذه الكلمة الجديدة وتساءلت هل أتجاوزها غدا أثناء الشرح؟ ولو فعلت ذلك هل أضمن أن أحدا من الطلاب لن يسألني ؟ ولو سُئلت عن هذه الكلمة هل أكذب على الطلاب وأفترض إجابة من عندي غير صحيحة؟ أو أخبر الطلاب بعدم معرفتي بها ؟ وبالتالي فهي أمور أحلاها مُر.

فألغيت هذه التساؤلات وقررت البحث عن معنى (التوابل) وكان أمامي طريقان هما البحث في المراجع أو سؤال بعض المدرسين فلعلي أجد الإجابة عند أحدهم ،استبعدت مسألة الاستفسار من المعلمين لسببين :

الأول : إن المعلمين السعوديين القريبين مني سكناً ليسوا بأفضل مني حالا .

والسبب الثاني :قد أجد الإجابة عند أحد المتعاقدين ولكنني رأيت أن في ذلك صعوبة إذ كيف لي بذلك وأنا مدير المدرسة ؟

أما الكتب والمراجع فذلك من المستحيلات إذ أن المدرسة نفسها لا يوجد في مكتبتها سوى بعض المصاحف وتفسير الجلالين فقط ؛وأما الأفراد فلا يوجد في المنطقة حسب علمي من يوجد في بيته كتاب واحد يمكن أن أستفيد منه .

إذن ما العمل؟ هداني تفكيري إلى تذكُّر أحد المدرسين المتعاقدين في مدرسة المجاردة بثقيف كنت أقابله كثيرا أثناء زياراتي المتكررة في الفترة المسائية إلى الزملاء المدرسين السعوديين الذين يسكنون في نفس القرية في منزل واحد ومع أنهم ثقفيون لكنهم لا يستطيعون المداومة من قراهم لعدم وجود وسائل مواصلات ولصعوبة الممرات الجبلية وكان المدرس المتعاقد يحضر إلى سكن المذكورين من سكنه الخاص وتدور بيننا مناقشات كثيرة في شتى مناحي الحياة

فغالباً ما كان يتفوق علينا في معلوماته ؛ ولا ندري إن كان فعلاً مثقفاً ثقافة عالية كما نرى أو أن مستوانا العلمي والثقافي كان متواضعاً؟

أعود إلى بداية التفكير في التوجه حالاً إلى قرية المجاردة فعقدت العزم وسلكت الطريق المعتادة في ظروف جوية صعبة (مطر وبرد وضباب وظلام دامس) عبر جبل يسمى(مشعة) الذي مازال حتى الآن لم تطأه يد الإنسان ولم تغير من جغرافيته الوعرة شيئا وأثناء الطريق سقطت إحدى (نعليَّ) (أكرمكم الله) في مكان سحيق ولم أجد بُدا من مواصلة السير حاملا الأخرى في يدي حتى وصلت منزل المدرس وعرضت عليه السؤال فكانت الإجابة جاهزة

فأخذتها منه ثم توقفت قليلاً وقلت في نفسي المشكلة الأولى انتهت ولكن المشكلة الجديدة كيف أحلها؟ فهل أذهب غدا إلى المدرسة حافي القدمين؟ أو ماذا أفعل؟.

فكرت ساعتها في الذهاب إلى المدرسين السعوديين لأستعير من أحدهم حذاء ولكنني تذكرت أن ظروفنا متشابهة وأن كل واحد لا يملك إلا ما يستخدمه ؟إذن ما الحل؟

كل هذه الأفكار وأنا أجلس تحت ركن أحد البيوت أداري نفسي من المطر والبرد القارس ؛ والقرية بكاملها هادئة هانئة يغط أهلها في نوم عميق كعادة أهلها القرى آنذاك .

لكنَّ فكرةً جديدة خطرت على بالي ذلك بأن أتوجه إلى قرية العريش حيث يسكن أحد أرحامي هناك لأستعير منه حذاءه ولا ضير إن مشى بعد ذلك حافيا كعادة أغلب الناس في تلك الفترة حتى أعيدها له ؛ وبالفعل أخذت ما أريد واتجهت إلى قرية قها .

إلا أنني لم أستخدمها خوفاً من انقطاعها لأن الغاية من ذلك كله هو استخدامها في اليوم التالي ؛ وبهذا المشوار وما صاحبه من أحداث وتعب نفسي وجسدي ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتذكر هذه الحكاية فأحكيها لأبنائي ولكل الأصدقاء رغبة مني في التوعية بأهمية ما نحن فيه الآن من خير عميم وإجراء المقارنات بين ماكان وبينما أصبحنا عليه الآن من سهولة في وسائل المواصلات ووفرة في المعلومات وسهولة الوصول إليها بأقل جهد وأسرع زمن .

ومنذ ذلك التاريخ عرفت أن التوابل هي :(البهارات بأنواعها).